سلسلة تفريغات شبكة بينونة

سلسلة

أركان الإيمان

٦. الإيمان بالقدر

الشيخ
د. خالد بن محمد الزعابي

من هنا باقي التفريغات

>> قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية <<

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم سلسلة بعنوان

أَرْكَان الإِيمَان

٦ - الْإِيمَان بِالْقَدَرْ

الشيخ

د. خَالِد بن حَمَد الزعابي

– حفظه الله تعالى –

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فنلتقي وإياكم أيها الأخوة والأخوات في المحاضرة السادسة من سلسلة أركان الإيمان، والتي هي بعنوان: [الإيمان بالقدر].

الإيمان بالقدر يؤمن المؤمن بالقضاء والقدر خيره وشرِّه، وهو تقدير الله تعالى للكائنات حسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته.

والقضاء شرعًا: هو ما قضى به الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في خلقه من إيجادٍ أو إعدامٍ أو تغيير.

✹ **والإيمان بالقدر ركنٌ عظيمٌ من أركان الإيمان دلَّت على ذلك نصوص الكتاب والسنَّة:**

- قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49].
- وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [وإياكم:38].
- وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:2].

ومن سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كذلك: ما جاء في إثبات القدر في أحاديث كثيرة؛

- منها حديث جبريل -عَلَيْهِ السَّلَام- سؤاله للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عن أركان الإيمان فذكر منها: «وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ»[1].

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 28) برقم: (8)

- وفي [صحيح مسلم]: عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وقال: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»[1].

✹ **والإيمان بالقدر كغيره من أركان الإيمان محلُّ إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم؛**

➢ ففي [صحيح مسلم] عن طاووس -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: **"أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ. قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»**[2] أي لا يقع في الوجود أمرٌ إلا وقد سبق به علم الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومشيئته وتقديره حتى:

- العجز: وهو عدم القدرة.
- والكيس: ضد العجز وهو النشاط والهمَّة والحِذق في الأمور.

أي إن الله -عَزَّ وَجَلَّ- قد قدَّر العجز والكيس، وكل شيءٍ مقدَّر فلا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله تعالى ومشيئته.

➢ وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»[3].

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 51) برقم: (2653)

(2) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 51) برقم: (2655)

(3) - أخرجه الترمذي(2144)

➢ وعن ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: كُنْتُ خَلْفَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَومًا فَقَالَ : «يَا غُلاَمُ؛ إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِن بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإِن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ»[1].

قال النووي -رَحِمَهُ اللهُ-: "تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنَّة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-".

✹ **والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بمراتب القدر:**

فالقدر له أربع مراتب دلَّت عليها النصوص وقررها أهل العلم:

فالمرتبة الأولى من مراتب القدر: مرتبة العلم، وهي أن يؤمن العبد إيمانًا جازمًا بأن الله تعالى بكل شيءٍ عليم، وأنه يعلم ما في السماوات والأرض جملةً وتفصيلًا، سواءٌ كان ذلك من فعله تعالى أو من فعل مخلوقاته، وأنه لا يخفى على الله شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وأنه عالمٌ بما كان وما يكون، وأنه ما وقع شيءٌ إلا بعلمه.

وقد دلَّ على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:12].
- وفي [الصحيحين] من حديث ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: سئل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن أولاد المشركين فقال: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

---

(1) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (4 / 284) برقم: (2516)

والمرتبة الثانية من مراتب القدر: مرتبة الكتابة، وهي أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء مما هو كائنٌ إلى قيام الساعة، وقد جمع الله تعالى بين هاتين المرتبتين: مرتبة العلم ومرتبة الكتابة في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:70] فبدأ سبحانه بذِكر العلم وقال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ أي إنه مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:12].

ومن السنَّة: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكما جاء به الحديث عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[1].

ولهذا لما سُئل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عما نعمله أشيءٌ مستقبل أم شيءٌ قد قُضِي وفُرِغ منه؟ قال: «أَنَّهُ قَدْ قُضِيَ وَفُرِغَ مِنْهُ».

وقال أيضًا حين سُئل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-: أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب الأول؟ قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[2] فأمرهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بالعمل، ثم تلا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾ [الليل: 5-10].

---

(1) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (4 / 29) برقم: (2155)

(2) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (2 / 96) برقم: (1362)

والمرتبة الثالثة من مراتب القدر: المشيئة، وهي أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- شاء لكل موجود أو معدومٍ في السماوات أو في الأرض، فما من موجودٍ إلا بمشيئة الله تعالى، وما من معدومٍ إلا بمشيئة الله تعالى، وهذا ظاهرٌ في القرآن الكريم، وقد أثبت الله تعالى مشيئته في فعله ومشيئته في فعل العباد؛

- فقال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29].
- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:112].
- وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:253].

فبيَّن الله تعالى أن فعل الناس كائنٌ بمشيئته سبحانه، والآيات في فعل الله تعالى ومشيئته في فعله -عَزَّ وَجَلَّ- كثيرة؛

- منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة:13].
- وقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود:118].

فلا يتم الإيمان بالقدر إلا أن نؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، ومشيئة الله تعالى تابعةٌ لحكمته؛ فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ليست مشيئته مطلقةً مجردة، ولكنها مشيئةٌ تابعةٌ لحكمته؛ لأن من أسماء الله تعالى الحكيم، والحكيم هو الحاكم الذي يُحكِم الأشياء، فيُحكم الأشياء كونًا وشرعًا، ويُحكمها عملًا وصنعًا.

والمرتبة الرابعة من مراتب القدر: مرتبة الخلق، فالله تعالى خلق الأشياء وأوجدها بقدرته الكاملة على ذلك، فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خالقٌ لكل عاملٍ وعمله، وكل متحرِّكٍ وحركته، وكل ساكنٍ وسكونه، فنؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء، فما من موجودٍ في السماوات والأرض إلا الله تعالى خالقه حتى الموت، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:2] فكل شيءٍ في السماوات أو في الأرض فإن الله تعالى خالقه، لا خالق إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

فالسماوات والأرض، والجبال والأنهار، والشمس والقمر، والنجوم والرياح، والإنسان والبهائم كلها مخلوقات الله، وكذلك ما يحدث لهذه المخلوقات من صفاتٍ وتغيراتٍ في أحوالها كلها أيضًا مخلوقةٌ لله -عَزَّ وَجَلَّ-؛

- قال تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:62].
- وقال سبحانه: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:96].
- وفي [صحيح البخاري] من حديث عمران بن حصينٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»[1].

فيجب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر، ومن أنكر شيئًا منها لم يُحقق الإيمان بالقدر، وفي [صحيح مسلم] عن يحيى بن يَعْمَرَ قال: "كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ -أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ- فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (4 / 105) برقم: (3190)

فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ -أي يطلبون العلم-، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ -أي يُنكرون القدر وعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وذكر ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- حديث جبريل -عَلَيْهِ السَّلَام-، وفيه قال: "فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ" الحديث.

فالإيمان بالقدر هو من ربوبية الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهو أيضًا سر الله تعالى المكتوم الذي لا يعلمه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وهو مكتوبٌ في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه أحد، ونحن لا نعلم بما قدَّره الله تعالى علينا، أو قدَّره في مخلوقاته إلا بعد وقوعه أو ورود الخبر الصادق عنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

✸ **ومن مسائل الإيمان بالقدر**: أن نؤمن بأن الله تعالى جعل للعبد اختيارًا وقدرة بهما يكون الفعل.

<u>والدليل على أن فعل العبد باختياره وقدرته أمور</u>:

الأمر الأول: قول الله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة:223]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة:46] فأثبت الله تعالى للعبد إتيانًا بمشيئته وإعدادًا بإرادته.

الأمر الثاني: توجيه الأمر والنهي إلى العبد ولو لم يكن له اختيارٌ وقدرة لكان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يُطاق، وهو أمرٌ تأباه حكمة الله تعالى ورحمته وخبره الصادق في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286].

الأمر الثالث: مدح المحسن على إحسانه، وذم المسيء على إساءته، وإثابة كل واحدٍ منها بما يستحق، ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح المحسن عبثًا، وعقوبة المسيء ظلمًا، والله تعالى منزَّهٌ عن العبث والظلم.

الأمر الرابع: أن الله تعالى أرسل الرسل، فقال سبحانه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:165] ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره ما بطلت حُجَّته بإرسال الرسل.

الأمر الخامس: أن كل فاعل يُحس أنه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعورٍ بإكراه، فهو يقوم ويقعد، ويدخل ويخرج، ويُسافر ويُقيم بمحض إرادته واختياره، ولا يشعر بأن أحدًا يُكرهه على ذلك، بل يُفرِّق تفريقًا واضحًا واقعيًّا بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يُكرهه عليه مكرِه، وكذلك الشرع فرَّق بينهما تفريقًا حكيمًا، فلم يؤاخذ الفاعل بما فعله مكرهًا عليه فيما يتعلق بحق الله تعالى.

✹ **ومن مسائل الإيمان بالقدر**: أنه لا حُجَّة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى؛ لأن العاصي يفعل المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله تعالى قدَّرها عليه؛ إذ لا يعلم أحدٌ قدَر

الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره، قال سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان:34] قد أبطل الله تعالى هذه الحُجَّة بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:148].

فإذا احتج العبد بالقدر يُقال له إذا احتج بالقدر على معصيته يُقال له: لما لا تفعل الطاعة مقدِّرًا أن الله تعالى قد كتبها لك، فإنه لا فرق بينها وبين المعصية من جهة الجهل بالمقدور قبل قيامك بالفعل، ولهذا لما أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- الصحابة بأن كل واحدٍ قد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، قالوا: أفلا نتكل وندع العمل؟ قال: «لَا، «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

ومن واقع الحياة نجد أن الإنسان لو عُرِض عليه وظيفتان إحداهما ذات راتبٍ أكثر فإنه سوف يعمل فيها دون الأخرى، فكيف يختار الإنسان لنفسه في عمل الآخرة ما هو الأدنى من المعاصي والذنوب ثم يحتج بالقدر؟! وكما أن الرزق مكتوب فكذلك العمل الصالح أو السيء مكتوب. فعن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في حديث ابن مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، ويُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِماتٍ :بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وأَجَلِهِ، وعَمَلِهِ، وشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ »[1]

فعلى الإنسان أن يسعى في العمل الصالح وأمر الآخرة كما يسعى في طلب الرزق والعلاج عند المرض وأمور الدنيا، فكلها مقدَّرةٌ مكتوبةٌ عند الله تعالى.

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم: (2643)

✸ **ومن مسائل الإيمان بالقدر**: أن نؤمن بأن الشر لا يُنسب إلى الله تعالى لكمال رحمته وحكمته، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[1] فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شرٌّ أبدًا؛ لأنه صادرٌ عن رحمةٍ وحكمة، وإنما يكون الشر في مقتضياته لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في دعاء القنوت الذي علَّمه الحسن -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْت» فأضاف الشر إلى ما قضاه، ومع هذا فإن الشر في المقتضيات ليس شرًّا خالصًا محضًا، بل هو شرٌّ في محله من وجه خيرٌ من وجه، أو شرٌّ في محله خيرٌ في محلٍّ آخر.

فمثلًا: الفساد في الأرض من الجدب والمرض والفقر والخوف شر لكنه خيرٌ في محلٍّ آخر، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:41] وعلم الله تعالى وقدرته وكتابته ومشيئته خيرٌ محض وكمالٌ من كل وجه، فالشر ليس إلى الله تعالى بوجهٍ من الوجوه؛ لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وإنما يوجد الشر الإضافي في المقضي المقدَّر، ويكون شرًّا بالنسبة إلى محل وخيرًا بالنسبة إلى محلٍّ آخر.

- فالآلام والأمراض وإن كانت شرورًا من وجه فهي خيراتٌ من وجوهٍ عديدة.
- وعقوبة السارق والزاني مثلًا شرٌّ بالنسبة لهما في قطع اليد وإزهاق النفس، لكنه خيرٌ لهما من وجهٍ آخر حيث يكون كفارة لهما، فلا يجمع الله لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة، وهو أيضًا خيرٌ في محلٍّ آخر: ففيه حمايةٌ للأموال والأعراض والأنساب.

والمؤمن الموفق يؤمن بكل ما ورد في الشرع عن القضاء والقدر، ويسأل الله تعالى أن يجعله ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فهي عنوان السعادة؛

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (2 / 8) برقم: (393)

فيكون ممن إذا أُعطي شكر: فلا يكون ممن إذا أُعطي كفر النعمة وبطرها، فإن كثيرًا من الناس إذا أُعطوا النعمة كفروها وأنكروها، وصرفوها في غير طاعة الله -عَزَّ وَجَلَّ- فصارت سببًا لشقاوتهم، أما من يشكر فإن الله تعالى يزيده، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7] والله -جَلَّ وَعَلَا- يزيد الشاكرين من فضله وإحسانه، والمؤمن يحرص على الزيادة من فضل الله فيشكر نعمة الله تعالى عليه.

وأن يكون ممن إذا ابتُلي صبر: فالله -جَلَّ وَعَلَا- يبتلي العباد، يبتليهم بالمصائب والمكاره، يبتليهم بالمرض والجوع والموت، فيحتاجون إلى الصبر وعدم اليأس وعدم القنوط من رحمة الله، فيثبتون على دينهم، ويصبرون على ما يُقاسون من التعب في سبيل ذلك، بخلاف الذي إذا ابتُلي جزع وتسخَّط وقنط من رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فهذا يزداد ابتلاءً إلى ابتلاء، ومصائب إلى مصائب.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرضا، ومن سخطَ فله السُّخْطُ**»[1].
- وفي الحديث عنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «**أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الناسُ على قدْرِ دينِهم**»[2].

فنجد أن البلاء قد حصل للرسل -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وابتُلي الصدِّيقون، وابتُلي الشهداء، وابتُلي عباد الله المؤمنون، لكنهم صبروا، فالدنيا ليست دائمًا دار نعيمٍ وترف، وملَّذاتٍ وسرورٍ ونصرٍ وفرح، فالله تعالى يُداولها بين العباد، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا

(1) - صحيح الترغيب للعلامة الألباني ، برقم: (3407)
(2) - صحيح الجامع للعلامة الألباني ، برقم: (993)

بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:140] فليُوطِّن العبد نفسه أنه إذا ابتُلي فإن هذا ليس خاصًّا به، ويُوطِّن نفسه ويصبر وينتظر الفرج من الله تعالى؛ ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128].

ونتذكر في هذين الأمرين شكر النعم والصبر على البلاء حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤمنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1].

وأن يكون ممن إذا أذنب استغفر: فالعبد المؤمن كلما صدر منه ذنبٌ بادر بالتوبة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ﴾ [آل عمران:135] يعني كلما أذنبوا استغفروا، وفي الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[2].

ومن فضل الله تعالى أن فتح باب التوبة، فعلى العبد إذا أذنب أن يُبادر بالتوبة؛ لأنه إذا لم يتُب ولم يستغفر كانت هذه علامةً على الشقاء وقد يقنط من رحمة الله، ويأتيه الشيطان يُزين له ويقول له: ليس لك توبة، فليحذر من ذلك.

فهذه الأمور الثلاثة:

- الشكر عند النعم.
- والصبر عند البلاء.
- والاستغفار عند الذنب.

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 227) برقم: (2999)

(2) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (8 / 93) برقم: (6439)

هي عنوان السعادة؛ مَن وفِّق لها نال السعادة.

✹ **ولتحقيق الإيمان بالقدر ثمراتٌ نافعةٌ في حياة المؤمن:**

➢ **فمن ذلك**: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبَّب كلاهما بقضاء الله وقدره.

➢ **ومن الثمرات**: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأن المؤمن متى علِم أن ذاك بقضاء الله تعالى وأن المكروه كائنٌ لا محالة ارتاحت النفس، واطمأن القلب، ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشًا وأريح نفسًا وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

➢ **ومن الثمرات**: طرد الإعجاب بالنفس والغرور عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمةٌ من الله بما قدَّره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك، ويدع الإعجاب بنفسه وعمله.

➢ **ومن الثمرات**: طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض وهو كائنٌ لا محالة، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر عند الله تعالى، قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (22) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:22-23].

وفي الختام على المؤمن أن يرضى بالله تعالى ربًّا، ومن تمام رضاه بالربوبية أن يؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، هذا والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

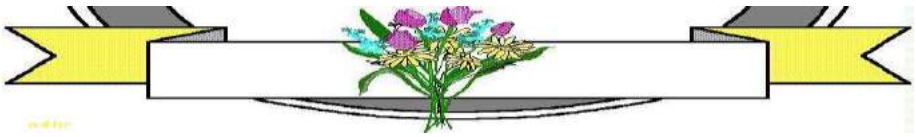

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】
https://instagram.com/baynoonanet
⑤ 【 واتساب WhatsApp 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك
☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))
⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】
لأجهزة الأيفون
https://appsto.re/sa/gpi5eb.i
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/nJrA9j
⑦ 【 يوتيوب YouTube 】
https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE
⑧ 【 تمبلر Tumblr 】
https://baynoonanet.tumblr.com/
⑨ 【 بلوجر Blogger 】
https://baynoonanet.blogspot.com/
⑩ 【 فليكر Flickr 】
https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/
⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 تيك توك TikTok 】
https://tiktok.com/@baynoonanet
【 في كي Vk 】
https://vk.com/baynoonanet
【 لينكدان Linkedin 】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 ريديت Reddit 】

https://www.reddit.com/user/Baynoonanet

【 تشينو chaino 】

https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a

【 بنترست Pinterest 】

https://www.pinterest.com/baynoonanet/

【 سناب شات Snapcha 】

https://www.snapchat.com/add/baynoonanet

【 تطبيق المكتبة 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/33uUnQr

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/WNbvqL

【 تطبيق الموقع 】

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/2Zvk8OS

لأجهزة الأندرويد

https://bit.ly/3fFoxWe

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

إستمع إلى المحاضرة
من هنا